أسامة بن منقذ(١)

هنا في عاصمة الأمويين في سفح قاسيون ذلك الجبل المطل على دمشق المشرف على الغوطتين بالقرب من نهر يزيد الشمالي ثوى عالم من العلماء الاعلام، وقائد من القواد العظام، وبطل من الابطال وشاعر من فحول الشعراء، كانت تخطب وده الامراء والملوك الا وهو ابو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين صاحب التصانيف العديدة في فنون الادب، سكن دمشق واستوطنها ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً اليه بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيك ثم عاد الى الشام وسكن دمشق ثم رماه الزمان الى حصن كيفا فأقام به في ولده حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله دمشق وكان مشغوفاً بذكره مستهتراً باشاعة نظمه ونثره فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين فرحل اليه وكان يستشيره في حملاته وغزواته . رحل الى مصر في ايام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فبث بها روح الثورة وعمل على قتل بن السلار حتى قتل .

ولد في شيزر سنة ثمان وثمانين واربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمسمائة واربعة وثمانين .

(شيزر في القديم والحديث) = وشيزر قلعة غربي حماة الى الجهة الشمالية على مسافة ساعة في سير السيارة، قال يافوت الحموي : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الاردن عليه قنطرة في وسط المدينة .

وذكرها امرؤ القيس في قوله :

نقطّع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

(١) هي المحاضرة التي القاها في ردهة المجمع العلمي الاستاذ طاهر النعساني في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقلت له لا تبك عينك انمـا نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

فتحها ابو عبيدة صلحاً : تلقاه اهلهـا وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل وذلك سنة ١٧ هجرية .

وأشهر من ينسب الى شيزر الامراء من بني منقذ وكانوا ملوكها وحكامها . وكانت على عهد ابي الفداء مملكة من الممالك أضيفت الى مملكة حمـاة فكان اسماعيل ملكاً عليها ايضاً .

وهنـاك بالقرب من شيزر في مرتفع من الارض بحيث تشرف على قلعة شيزر قبة تشتمل على ضريح ومسجد يقال انه ضريح ابي عبيدة والصواب انه ليس بقبر ابي عبيدة ولكنه حينما قدم ابو عبيدة الى شيزر عاملاً عن فتحها خيم بجنوده ورجاله في ذلك المكان الحربي المشرف على شيزر فاتخذه النـاس بعدُ مقراً لابي عبيدة وبنوا به هـذا الضريح وذلك المسجد .

لا تزال بعض جدران شيزر ماثلة تهزأ بالعواصف القواصف وتدل على عظمة الاقدمين وتفننهم في تشييد البنيان ورفعه . ولا يزال فيها السرداب المتصل بالنهر يستقي منه الاهلون وقد تهدم منه القسم الكبير .

وكانت شيزر على عهد آل منقذ عامرة بقطانها ومحصولاتها الزراعية وفواكهها الطيبة . يخرج منها خمسة آلاف مقاتل ، وهي اليوم لا يكاد يوجد فيها خمسون مزارعاً موبوءة مستوبلة امراضها فتّاكة يضرب بها المثل ببوائها الفاسد فيقال «اوخم من شيزر . ونفعل كذا وننال كذا ونقول شيزر وخمة » فسبحان محول الاحوال ومقلب الليل والنهار .

(آل منقذ) = اول من ملك شيزر منهم ابوالحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني الملقب سديد الملك كان نازلاً مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه باخذها فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة ولم تزل في يده و يد اولاده الى ان جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين وخمسمائة فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الردم فشغرت وجاء نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة فأخذها وجدد من بنيانها ما تهدم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسآتي على تفصيل هذه الزلزلة . وكان سديد الملك هذا مقصوداً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي المشهور وغيرهما . وكان له شعر جيد فمنه قوله وقد غضب على مملوك له فضربه وكان يحبه و يميل اليه ولا يؤثر عليه :

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من ... كفيّ غلهما غيظاً الى عنقي
واستعير اذا عاقبتـه حنقاً ... واين ذل الهوى من عزة الحنق

وسديد الملك هذا هو الذي رد الروم والافرنج والاتراك والاعراب عن شيزر ومنعها .

(كيف نجا علي بن منقذ من القتل) = وكان سديد الملك قوي الفطنة تنقل عنه حكاية عجيبة رأيت ان اوردها هنا لما فيها من النكتة والفائدة . وذلك انه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى امر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الى كاتبه ابي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يتشوقه و يستعطفه و يستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصد له الشر وكان صديقاً لسديد الملك فكتب الكتاب كما امر الى ان بلغ — ان شاء الله تعالى — فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على بن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه فقال سديد الملك اني ارى في الكتاب مالا ترون ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال و كتب في جملة الكتاب « انا الخادم المقر بالانعام» و كسر الهمزة من (انا) وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على الملك وقد اجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فاجاب سديد الملك بقوله تعالى (إنا ان ندخلها ابداً ما داموا فيها) ووقع نظير هذه الحكاية للخفاجي الشاعر المشهور مع محمود بن صالح صاحب حلب ، ولعمري ان هذه الحكاية لتدل على فرط ذكاء الكاتب ووفائه لصديقه و يقظة سديد الملك وشدة حذقه وفهمه وما بلغ ما بلغه من المجد والشرف الجم الا بما أوتيه من علم وما انطوى عليه برده من قلب واع وفكرة وقادة . وأسامة ياسادة موضوع محاضرتي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو حفيد سديد الملك ومرشد ابو أسامة شاعر من فحول الشعراء ، فأسامة شاعر ابن شاعر ابن شاعر وابو شاعر ، وما ظنكم بمن تناسل من شعراء بواسل فهو شاعر باسل .

(آل منقذ محمّدون) — حين تملك سديد الملك شيزر حسده شرف الدولة على ذلك فسار عسكر حلب مع مؤيد الدولة علي بن قريش الى شيزر ونزلوا عليها في يوم الجمعة خامس ذي الحجة سنة اربع وسبعين واربعمائة بعد مراسلات جرت فلم يجب بن منقذ الى ما التمس منه وكان علي بن قريش قد اخذ في طريقه حصناً لابن منقذ يقال له (اسفونا) غربي كفرطاب وكان ابن منقذ قد تأهب للحصار وحمل من الجسر الى شيزر ما يكفي من فيه مدة طويلة من سائر الاشياء . وحصره علي بن قريش مدة الى ان وصل شرف الدولة بنفسه فنزل على شيزر يوم الاربعاء سلخ المحرم من سنة خمس وسبعين واربعمائة ثم رحل عنها الى حمص يوم السبت ثالث صفر واقام عسكره على شيزر . فتطارح ابن منقذ عليه وسير ابنه ابا العساكر وامرأته منصورة بنت المطوع واخته رفيعة الى حمص فدخلوا عليه وحملوا اليه مالاً فأنفذ الى عسكره ورحله عن شيزر في الثامن والعشرين من صفر من السنة المذكورة .

(آل منقذ المشهورون) — ابو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والد الامير سديد الدولة ابي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره . كان رجلاً نبيل القدر ، سائر الذكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته . وكان في جماعة كثيرة من اهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب اليهم . وكانوا يترددون الى حماة وحلب وتلك النواحي . وكانت لهم بها الدور النفيسة والاملاك الثمنة وذلك كله قبل ان يملكوا قلعة شيزر . وكان ملوك الشام يكرمونهم و يجلون اقدارهم . وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم . ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب . وقد رثاه بن سنان الخفاجي الشاعر بقصيدة رائية . ورثاه القاضي ابو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن ابي حصين بقصيدة من فائق الشعر وغرره وأنشدها لولده ابي الحسن علي المذكور مطلعها :

الا كل حي مقصدات مقاتله وآجل مايخشى من الدهر عاجله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتوفي اخوه ابو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة ٤٣٩ ورثاه بن سنان الخفاجي الحلبي ايضاً بقصيدة مطلعها :

حبتك السماء بامطارها وكيف نضن على جارها

(سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني) ولد بطرابلس سنة اربع وستين واربعمائة وسمع من الفقيه ابي السمح ابراهيم الحنفي صحيح البخاري بشيزر وولي إمرتها بعد اخيه نصر بن علي وهو شاعر مشهور وله من قصيدة في الامير مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ مطلعها :

اين مضاء الصارم البائر من لحظات الفاتن الفاتر

توفي يوم السبت للنصف من شوال سنة ٥١٣ هجرية .

(اسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الفضل بن ابي العساكر ابن ابي الحسن بن ابي المتوج الملقب شرف الدولة الكناني الشيزري) امير ، شاعر ، فاضل من اهل شيزر ولد ونشأ بها . ثم بعد ان خربتها الزلزلة انتقل الى دمشق واستوطنها الى ان مات بها . روى عنه شيئاً من شعره الحافظ ابو القاسم ابن عساكر ولم يفرد له ترجمة في تاريخ دمشق . وروى عنه مرهف بن السديد الشيزري وابو الفتح عثمان بن عيسى ابن منصور البلطي النحوي وتوفي سنة ٥٦١ بدمشق .

(اسماعيل بن المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الطاهر بن ابي الميمون الكناني الشيزري الاصل المصري المولد والمنشأ) احد امراء الدولتين العادلية والكاملية سمع بالاسكندرية ابا ظاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي الاصبهاني وبمصر من والده . وكان اميراً كاملاً ، وكبيراً فاضلاً ، ندبه السلطان الملك الكامل رحمه الله رسولاً الى المغرب فأبان عن نهضة وكفاية وحسن سفارة لما كان جامعاً له من حسن صورة وسيرة وعذوبة لفظ وسداد عبارة . وولاه ولاية مدينة حران . وجمع له بين الولاية والامارة . وكان له شعر وادب كثير . ولد في العشرين من رجب سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة . وتوفي في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة بحران ودفن بظاهرها .

(المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ الامير سيف الدولة ابو الميمون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكناني الشيزري) ولد بشيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة وسمع بمكة قليلاً من ابي حفص الميانشي . وقد ولي امر الدواوين بمصر مدة وله شعر يسير . وكان مع شمس الدولة توران شاه اخي السلطان لما ملك اليمن . فناب في مدينة زبيد عنه ثم رجع معه واستناب أخاه حطان . فلما مات شمس الدولة حبسه السلطان لانه بلغه انه قتل باليمن جماعة واخذ أموالهم فصادره وضيق عليه واخذ منه مائة الف دينار سنة ٥٧٧ . ولما توجه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن تحصن الامير حطان في قلعة وعصى فخدعه سيف الاسلام حتى نزل اليه فاستصفى امواله وسجنه ثم اعدمه . توفي سيف الدولة في رمضان بالقاهرة .

(عبدالرحمن بن محمد بن مرشد بن علي بن منقذ) الأمير الكبير شمس الدولة ابو الحرث ابن الامير نجم الدولة الكناني الشيزري ولد بشيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وهو الذي وجهه صلاح الدين برسالة الى صاحب المغرب وكان اديباً شاعراً محسناً مترسلا من بيت الشجاعة والامرة .

(مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ) الأمير العالم مقدم الامراء جمال الرؤساء عضد الدولة ابو الفوارس بن الامير الكبير مؤيد الدولة ابي المظفر الكناني الكلبي الشيزري احد الامراء المصريين ولد بشيزر في سنة ٥٢٠ وسمع من ابيه روى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي وكان مسناً معمّراً شاعراً كوالده مليح المحاضرة جمع من الكتب شيئاً كثيراً . وكان جليس صلاح الدين الايوبي ونديمه يروي له شعر ابيه أسامة فيطرب لسماعه ، توفي رحمه الله في ثاني صفر .

(عود الى ذكر أسامة) — جعلت موضوع محاضرتي أسامة لانه أعرق اهل بيته في الحسب واعرفهم بالأدب كما قال ابن العماد .

وكان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من شعر الجاهلية كما روى ذلك عنه ابن السمعاني . يقول ابن العماد : أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه ، يلوح في كلامه أمارة الامارة و يؤسس بيت قريضه عمارة العمارة . تلقى العلوم عن والده مرشد في شيزر وسمع من علي بن سالم السنبسي وسكن حماة مدة يدرس على اساتيذها واعلامها . فهو شيزري حموي وكانت لهم مساكن وعقارات بحماة تغل اموالاً كثيرة . وكان يحب آل البيت ويكرمهم . حتى لقد الحقه بعضهم في الشيعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(شجاعته ووقائعه وتمنيه القتل كما تمناه قطري بن الفجاءة) = باشر الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغ مدى التسعين ، قال رحمه‌الله : حضرت من المصافات والوقعات مهول اخطارها ، واصطليت من سعير نارها ، و باشرت الحرب وانا ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغت مدى التسعين ، وصرت من الحوالف خدين المنزل وعن الحروب بمعزل ، لا اعدّ لهمٍّ ولا ادعى لدفاع ملمّ ، بعدما كنت اول من تثنى عليه الخناصر ، واكبر العُدد لدفع الكبائر ، اول من يتقدم السنجقية عند حملة الاصحاب ، وآخر جاذب عند الجولة لحماية الأعقاب .

وهو كسائر الابطال في الاسلام كان يتمنى ان يقتل في سبيل الله ، ويأسف جد الأسف على بقائه حيّاً الى ان بلغ ما بلغه من العمر ، وقد استقرأت ذلك من شعره حيث يقول :

كم قد شهدت من الحروب فليتني ... في بعضها من قبل نكسي أقتل
فالقتل احسن بالفتى من قبل ان ... يفنى ويبليه الزمان وأجمل
وابيك ما احجمت عن خوض الردى ... في الحرب يشهد لي بذلك المُنصل
لكن قضاء الله أخرني الى ... أجلي الموقت لي فما ذا أفعل

(وقائعه الكبار) = منها وقعة كانت بينه وبين الاسماعيلية في قلعة شيزر لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

ومنها وقعة كانت بين عسكر حماة وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

ومنها مصاف على تكريت بين اتابك زنكي بن أقسنقر وبين قراجا صاحب فرس في سنة ست وعشرين .

ومصاف بين المسترشد بالله وبين اتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين .

ومصاف بين اتابك زنكي وبين الأُرتقية وصاحب آمد على آمد في سنة ثمان وعشرين .

ومصاف على رفنية بين اتابك زنكي وبين الفرنج في سنة احدى وثلاثين .

ومصاف على قنسرين بين اتابك وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة اثنين وثلاثين .

ومنها وقعة بين المصريين وبين رضوان الوخشي سنة اثنين واربعين .

ووقعة بين السودان بمصر في ايام الحافظ في سنة اربع واربعين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ووقعة كانت بين الملك العادل بن السلار وبين اصحاب بن مصال في تلك السنة .

ووقعة ايضاً بين اصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة المذكورة بدلاص .

وفتنة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان واربعين .

وفتنة قتل فيها الظافر وأخواه وابن عمه في سنة تسع واربعين .

وفتنة المصريين وعباس بن ابي الفتوح في السنة نفسها .

وفتنة أخرى بعد شهر حين قامت عليه الجند

ووقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج في السنة المذكورة .

سيره نور الدين محمود بن زنكي المشهور بمحاربة الصليبيين الى قتال الفرنج على عسقلان فسار في ثمانمائة وستين فارساً في وسط بلاد الفرنج وأقام بمدينة عسقلان اربعة اشهر ينازل الفرنج . وهاجم مدينة ببني . وحاصر مع نورالدين قلعة حارم .

« البقية في الآتي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net